

ملامح أساسية فى إبداع فاروق شوشة

د. محمد حماسة عبداللطيف



أهنئ فى البداية شاعرنا الكبير الأستاذ فاروق شوشة على بلوغه الخامسة والسبعين من عمره الميمون المديد، وأتمنى أن تضاعف له إن شاء الله، وأهنئ بتهنئته الشعر العربى أيضا لأن كل سنة فى حياة الشاعر كسب كبير للشعر وحياة له.

وأحيى القائمين على مجلة الهلال العريقة أن اهتموا بهذه المناسبة. وقد عبروا بهذا الصنيع عن موقف المثقفين جميعا، ونابوا عنهم فى هذه المهمة النبيلة، لأن الاحتفال بالشاعر احتفال بشعره واحتفال فى الوقت نفسه بلغة هذا الشعر.

> فاروق شوشة أحق الشعراء بالتكريم والاهتمام، لأنه شاعر نذر حياته للشعر، وللغة العربية

وفى الحق إن فاروق شوشة أحق الشعراء بالتكريم والاهتمام، لأنه شاعر نذر حياته للشعر، وللغة العربية التى رسخ لها هذا المصطلح، وأشاعه على الألسنة، فعمل عمله فى الوجدان وهو مصطلح «لغتنا الجميلة»، وما زال على مدى عقود ستة من الزمان حتى وقتنا الراهن يبدع شعراً جميلاً، ويعمل على إعلاء شأن هذه اللغة الشريفة كتابة وبثا إذاعياً فى ثقة ويقين، وبعزم لا يعرف الكلال.

وقد بدأ شاعرنا رحلته الشعرية فى صباه الباكر شاعراً ناضجاً، ومنحه الشعر فرائده فى أوليات حياته، والدليل على ذلك تلك القصيدة التى أنشدها طه حسين وزير المعارف عندما زار



مع فهمى عمر رئيس الإذاعة المصرية فى الثمانينيات

مدرسته، وكان فاروق فى الرابعة عشرة من عمره. وهذه بعض أبيات من هذه القصيدة حدثنى بها بعض من شهد هذا الحفل يقول فاروق شوشة مخاطبا الوزير طه حسين:

مشى العلمُ فى الوادى ولاحتْ كواكبُهْ
وراحت علَى الوجهين تترى مواكبُهْ
مُنىً كنّ للشرق الهوى فتمنّعَتْ
وغازلها طه فراحتْ تُلاعبُهْ
لك الرأىُ يَهْدِى نورُه كلّ مُبْصرٍ
فلا الريْبُ أتيه ولا الغيْبُ راهبُهْ
ولستَ على رأى الذين تشاءمُوا
فلم يبصروا والجهلُ تسطو غياهبُهْ

بهذه البداية القوية الشامخة التى تذكرك بشعر أبى تمام والمتنبى وشوقى والبارودى، بدأ فاروق شوشة مسيرته الشعرية التى تتابع عطاؤها، وتنوع إبداعها حتى الآن.

* * *

يستطيع متابعو تجربة فاروق شوشة



الشعرية أن يرصدوا عدة ملامح أساسية فى هذه التجربة الفنية الفذة.

أولاً: الاستمرار والموالاة والمتابعة، فهو منذ بدأ مسيرته الفنية، وعطاؤه لم يتوقف، ولم ينقطع عن قول الشعر، ومن المألوف المشاهد أن كثيرا من الشعراء يجبلون أى يتوقف عطاؤهم بعض الوقت بطول أو بقصر، وقد أجبل البحترى عن قول الشعر - كما يروون - عشر سنوات، وفاروق شوشة لم ينقطع عن قول الشعر قط، وهذا يدل على تلبسه بالشعر، وتلبس الشعرية يملأ عليه وجدانه ومشاعره، لا يستطيع التخلى عنه أو الخلاص منه، تفيض به نفسه كما يفيض النهر بمائه، يكاد ينطق به كما ينطق أحدنا بالكلام لا يعوقه عائق ولا يمنعه مانع، ويعرف خلصاؤه المقربون منه أنه يمكن أن ينظم قصيدة فى وقت محدود. ومن الغريب أن الشعر الذى يختاره للناس يقتضى منه أناة وروية غير تلك التى تسعفه فى جلساته مع أصدقائه ومحبيه. إن الشعر قدره المكتوب، وطريقه المقسوم وشغله الشاغل، وهمه القيم وعشقه الدائم.

ثانياً: وفرة هذا العطاء الشعرى، وتشهد دواوينه أو مجموعاته الشعرية بهذه الوفرة منذ أول مجموعة له وهى «إلى مسافرة» حتى «وجوه فى الذاكرة» ٢٠١٠م.

وتكاد الألفية الثالثة تشهد كل سنة فيها مجموعة شعرية جديدة حتى الآن، من أول «وجه أبنوس» ٢٠٠٠م إلى «النيل يسأل عن وليفته» ٢٠٠٩م ثم «وجوه فى الذاكرة» ٢٠١٠م كما أشرت. ولعلنا نلاحظ أن الوهج الشعرى يزداد تألقا وتدفقا كلما تقدمت به السن. وهذا على عكس كثير من الشعراء الذين تجف منابع قرائحهم، وتخبو لديهم جذوة الشعر أو تكاد كلما خطا بهم العمر خطوات إلى الأمام وتقدمت بهم السن.

ثالثاً: تنوع القصيدة فى شعر فاروق شوشة تنوعا ملحوظا فأنت تجد فى شعره «قصيدة البيت» أى الموزونة المقفاة، مثل قصيدة «إلياس أبو شبكة» وهى قصيدة طويلة مطلعها:

فيم احتجابك لا زهدٌ ولا ورعُ
وأنت سرٌّ بقلب الجمر يندلعُ

وقصيدة «البحث عن بداية» التى مطلعها:

من أي قاعٍ سحيقٍ سوف نبتدئُ
وكلما لاحَ نجمٌ راحَ ينطفئُ
العمر ضاعَ سدىً، عمرٌ بأكمله
ونحن نلبس حلماً بات يهترئُ

وقصيدة «صيفية»، وقصيدة «للعبير اختناق»، وقصيدة «سكن العبير»، وقصيدة «سمعت عينيك» وغيرها من القصائد التى ندرك من قراءتها أنها سهلة سلسة لا تؤوده ولا تعجزه قافية أيا ما كانت، بل تنساب متدفقة أسرة يستطيع أن يطوعها لكل ما يريد من التجارب، لا تتأبى عليه،



مع الشيخ سلطان القاسمى حاكم إمارة الشارقة وبينهما د. صلاح فضل وإبراهيم المعلم

ولا تمتنع، فتنقاد طائعة كما يريد.

وتجد فى شعره القصيدة الموزونة المقفاة التى يمضى فيها على نسق وزنى، ثم ينتقل إلى نسق وزنى آخر موزون مقفى كذلك ويعود فيختم بأبيات من النسق الأول، مثال ذلك تجده فى قصيدة «موكب الشهداء» التى بدأت ببحر الطويل:

خشوعاً فهذا اليوم فى ساحهم عُرْسُ
وصَمْتاً ففى أعماقنا يورق الهمسُ

واستمرت على هذا النسق تسعة عشر بيتاً، ثم انتقلت إلى «المتدارك» وقافية القاف:

وجهكَ خضرة هذا البيرقْ
نجمٌ بالبُشرى يتألّقْ
جسرٌ ممدودٌ للآتى
والآتى حلم يتحققْ

وتستمر القصيدة هكذا أربعة عشر بيتا، ثم تعود القصيدة فى الختام إلى النسق الأول بثلاثة أبيات متخذة من البيت الأول إشارة إلى اكتمال الدائرة.

وتجد فى شعره تجديدات بديعة فى شكل القصيدة الموزونة المقفاة مثل قصيدة «موال بغدادى» وقصيدة «رباعيات».

وتجد فى شعره قصيدة «التفعيلة» بكل أطيافها، فليست قصيدة التفعيلة عنده على نسق واحد لا يتغير، ولكنها متنوعة تنوعاً خصباً، ففيها القصيدة ذات الأبيات القصيرة، وفيها القصيدة التى تجمع بين شكل قصيدة البيت وشكل قصيدة التفعيلة، وفيها القصيدة التى تزاوج بين بحرين، وفيها القصيدة ذات البيت الطويل، وفيها القصيدة التى تكاد تتخلى عن القافية الموحّدة، وفيها القصيدة التى توحد القافية، وفيها القصيدة التى تصاغ



من البحور ذات الوحدة المركبة كالخفيف والبسيط والمجتث.

وهذا تنوع وغنى لا يتأتيان إلا للشاعر المقتدر المتمكن الذى يملك لغته وموهبته فيصرف القول كيف يشاء.

رابعاً: انقياد الشعر لفاروق شوشة انقياداً غريباً فى كل ما يريد من نواحى القول، والدليل على ذلك تلك التجربة الفريدة الفذة فى «وجوه فى الذاكرة» التى سماها «لوحات شعرية» وهى ثمان وعشرون لوحة تناولت كل واحدة منها وجها من الوجوه التى تتقاطع فى سيرته الذاتية إيجابا أو سلباً، وقد نشرها فى جريدة الأهرام متلاحقة لا يفصلها شىء، وكنت أظن أنه كان قد أعدها من قبل أن يبدأ نشرها، ولكنى عرفت منه أنه كان يكتبها أسبوعيا فى موعد تقديمه لمقاله الأسبوعى، وكانت تكتب فى بابه المخصص له على هيئة النثر، وكان القراء الذين لا خبرة لهم بالشعر يحسون مافيها من إيقاع، أما الذين لهم بالشعر خبرة فقد أدركوا من أول الأمر أن هذه قصائد، ولكنهم دهشوا لهذه القدرة الفائقة التى طوعت الشعر هذا التطويع الفذ الذى لا يوقفه شىء، ولا يعوق تحدره شىء. وقد كشف عن بعض هذه الوجوه، وترك بعضها الأخر يتلفف فى غلالة شفيفة من الغموض بحيث تعرف بالصفة، ويجدها كل منا فى حياته، ويراها محيطة به.

وقد كانت الريشة التى رسمت بها هذه اللوحات مغموسة دائما فى قلب الشاعر، وقد لونت هذه اللوحات من دمه، وأذكر لذلك أنى لم أتمالك نفسى من الإجهاش بالبكاء، ولم أستطع منع تحدر بعض الدمع عند قراءتى الأولى لبعض هذه اللوحات.

هذه التجربة – على حد علمى – لم يسبق إليها أحد، فهى إذن من مبتكرات فاروق شوشة وإبداعه الخاص.

خامساً: مؤشر بوصلة فاروق شوشة مضبوط على الشعر، لا يتجه إلا إليه، ولا يحيد عنه، ففى عمله الإعلامى – وقد تسنم ذروته برياسة الإذاعة المصرية – وفى الإعلام المرئى، وفى الإعلام المكتوب وهو يكتب فى أكثر من جريدة يومية ومجلة شهرية، قاده إخلاصه للشعر، وحبه له أن يطوع كل عمل يقوم به لهذا الذى أحبه وأخلص له واستقام إليه، فكان عمله الإعلامى كله فى فلك الشعر فالبرامج الإذاعية تختار روائعه وتصطفى عيونه يقدمها ويشرحها وينوه بشأنها، ويقدم الشعراء والنقاد ويعرف بهم، ومقالاته فى الأهرام وفى مجلة العربى وغيرهما تقدم الشعراء، وتختار بعض ما يكتبون من الشعر ولايكاد يخرج شىء من هذا عن الشعر ولغة هذا الشعر. وكانت الأمسية الثقافية وقد استمرت أكثر من ثلاثين سنة تقوم بهذه المهمة الشريفة التى نذرلها نفسه، وبرنامج «لغتنا الجميلة» وهو مستمر من أكثر من ثلاث وأربعين سنة يضطلع فى غير ملل بهذا الواجب الذى ألزم به نفسه، وقد نجح فى تثبيت هذه العبارة فى الوجدان «لغتنا الجميلة» وقد طبعت وزارة الثقافة والفنون والتراث بدولة قطر أربعة أجزاء كبيرة من مواد هذا البرنامج. وهى قليل من كثير، والنظر فيها يؤكد ما أقول.

الشعر دائما هو المحور الأساسى، ولغة الشعر دائما هى الهم الأول، وعند فاروق شوشة من هذا كله زاد لاينفد، ومدد لاينقطع وله بكل هذا عشق مقيم، وهم لا يريم.

سادساً: ينطبع شعر فاروق شوشة دائما بصدقه وصفاء نفسه، وعمق إنسانيته، وشفافية مودته، وهذه صفات تلقائية فيه ليس فيها تكلف أو افتعال. وقد انعكس كل هذا فى شعره انعكاس الصورة فى المرآة، ولذلك يستجيب له قارئه ويرتاح إليه، ويرى فيه ما يتمنى أن يكون عليه، وما يتطلع إليه، فهو بذلك يمثل النموذج والمثال. وعندما أقول إن شعره يعكس صورة نفسه أعنى أن نفسه رحيبة تحوى إلى هموم نفسه هموم كل من حوله وهموم وطنه وأمته وكثيراً من القضايا الإنسانية.

سابعاً: لغة فاروق شوشة لغة متميزة، تستطيع تعرفها بين عشرات الشعراء مع أن الجميع ينتمون إلى لغة واحدة، ولكنه استطاع بعشقه لها، واتساع ثقافته فيها، وحبه لشعرها قديمه وحديثه أن يصوغ لغته، وأن ينفرد بها، وبحسبه أنه أطلق – كما أشرت – عبارته «لغتنا الجميلة» التى سرت مسرى النسيم فى كل مكان، وجرت على كل لسان، وفعلت فعلها فى النفوس، إن عشقه للغة عشق خاص تصور طرفاً منه قصيدته «لغة» التى يقول فيها:

> ❝ فى شعر شوشة تجديدات بديعة فى شكل القصيدة الموزونة المقفاة مثل قصيدة «موال بغدادى» وقصيدة «رباعيات» ❞

ها أنت تشاغل لغة
كبرت بك
ومعك
لم تبتعدا، أو تتباعد أجنحة منك ومنها
بينكما سر أقدم من سفر التكوين
وأعمق من طبقات الأرض
وأبعد من نجم يتملكه بعض فضول
فيحاول أن يتطلع عبر سماء واحدة
عبر سماءين.
ماذا قالت هذى اللغة؟
وماذا قلت وأنت تصيد أوابد راحلة
في قلب هجير المحل
وقطرة طل راحت تتشكل في قلب الليل
لتفصح عن جلوتها في الفجر المخضل

وتستمر القصيدة فى تصوير هذه العلاقة الحميمة بأبلغ مما يقول قائل أو يشرح شارح.

* * *

هذه بعض ملامح رأيتها أساسية فى مسيرة فاروق الشعرية ولعل غيرى يرى أهم منها، وهذا بطبيعة الحال شأن الشخصيات النادرة الفريدة كل يرى فيها القدر التى تتسع له حدقتاه.